

التنشئة الاجتماعية والتنشئة السياسية:

العمليات والفواعل والرهانات في البناء الاجتماعي للفرد

أولاً: التنشئة الاجتماعية والتنشئة السياسية: التنشئة الاجتماعية هي العملية الأساسية التي يستوعب من خلالها الأفراد، منذ الطفولة وحتى البلوغ، المعايير والقيم والمعتقدات والممارسات والأدوار الاجتماعية لمجتمعهم أو جماعتهم التي ينتمون إليها. هذه العملية تحول الكائن الحي إلى فاعل اجتماعي قادر على التفاعل والمشاركة في الحياة الجماعية، وهي ما يُطلق عليها بتعبير الجماعة La Socialisation.

أ/- التعريفات الأساسية: بهدف الإحاطة بمفهوم التنشئة الاجتماعية، يمكن الإشارة إلى أبرز التعريفات كالآتي:

1/- التعريف الدوركهامي La définition durkheimienne: استيعاب أو استبطان الإكراه الاجتماعي: قدّم عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهيم تعريفاً للتنشئة الاجتماعية باعتباره فعلاً يتمحور حول فكرة استبطان أبرز القيم الاجتماعية، حيث اعتبر: "التنشئة الاجتماعية هي الفعل الذي بواسطته يشكل المجتمع الأفراد على صورته، غارساً فيهم طرق التفكير والشعور والتصرف الضرورية لعمله واستمراره."

2/- المقاربة التفاعلية L'approche interactionniste: بناء "الذات": طوّر جورج هربرت ميد George Herbert Mead نظرية "الذات الاجتماعية soi social"، والتي من خلالها يمكن استنتاج مفهوماً للتنشئة الاجتماعية: "تتطور الذات Le self soi من خلال التفاعل مع الآخرين. يستوعب ويستبطن الفرد مواقف "الآخرين المهمين" و"الآخر المعمم" (significant "autres significatifs" (others) et du "généralisé" (generalized other))."

3/- التنشئة الاجتماعية كدمج للعادة (بورديو): تشير التنشئة الاجتماعية عند عالم الاجتماع الفرنسي بورديو إلى فكرة العادة/العرف L'habitus، حيث يعتبر أن: "العادة L'habitus، وهي نظام من الميول/الاستعدادات الدائمة، هي نتاج التنشئة الاجتماعية المتجسد. إنها تُشكّل وتُهيكل الإدراك والأحكام والأفعال دون الحاجة إلى حساب واعٍ."

أما التنشئة السياسية فهي العملية المستمرة مدى الحياة التي يكتسب من خلالها الأفراد المعارف والاتجاهات والقيم والسلوكيات السياسية من بيئتهم. السؤال المركزي الذي تجيب عليه هو: **كيف يتعلم المواطنون الثقافة السياسية لمجتمعهم، وما العوامل التي تشكّل "الذات السياسية" لهم؟**

ب/- أزمنة التنشئة الاجتماعية: يمكن التمييز بين عدة أزمنة للتنشئة الاجتماعية هي:

1/- التنشئة الاجتماعية الأولية (الطفولة والمراهقة) La socialisation primaire: وضع بيتر بيرغر وتوماس لوكممان Peter Berger et Thomas Luckmann نظريةً لهذه المرحلة التأسيسية، حيث اعتبر أن: "التنشئة الاجتماعية الأولية هي أول عملية تنشئة اجتماعية يمر بها الفرد في طفولته، والتي من خلالها يصبح عضواً في المجتمع. وهي تنطوي على تماهٍ identification قوي مع "الآخرين المهمين" autres significatifs."

2/- التنشئة الاجتماعية الثانوية (طوال الحياة) La socialisation secondaire: "التنشئة الاجتماعية الثانوية هي أي عملية لاحقة تسمح للفرد، بعد أن اكتسب التنشئة الاجتماعية، بالاندماج في قطاعات جديدة من العالم الموضوعي لمجتمعه. " ومن أمثلة التنشئة الاجتماعية الثانوية، **التنشئة المهنية، والزوجية، والمناضلة، إلخ.**

3/- التنشئة الاجتماعية التفاضلية La socialisation différentielle: يؤكد تالكوت بارسونز Talcott Parsons على البعد الجندي La Dimension Genrée في هذا الشكل من التنشئة الاجتماعية: "تُمارس الأسرة تنشئة اجتماعية مُتباينة وفقاً للجنس، مُهيئةً الفتيات والفتيان لأدوارهم الاجتماعية المستقبلية. " وفقاً لذلك، فإن الأدوار الاجتماعية لا تستند إلى فكرة التخصص أو غيرها، بل إلى المنطق الجندي الذي يحدد أدواراً خاصة بالفتيات حصرياً، وأدواراً اجتماعية أخرى خاصة بالفتيان حصرياً كذلك.

ج/- فواعل التنشئة الاجتماعية وفضاءاتها: لا يمكن الحديث عن التنشئة الاجتماعية دون الإشارة إلى الفواعل الاجتماعية أو البنى المسؤولة (أو التي في إطارها) عن هذه التنشئة، وكذا فضاءاتها.

1/- الأسرة، الفاعل الأساسي الأول للتنشئة الاجتماعية: تعتبر الأسرة النواة والبنية الأولى المسؤولة بشكل مباشر على عملية التنشئة الاجتماعية. حيث يعتبر بيير بورديو أن الأسرة: "لا تنقل المعايير والقيم فحسب، بل تنقل أيضاً نمطاً اجتماعياً، أي أنماطاً في السلوك والكلام والاستهلاك، تؤثر تأثيراً عميقاً في الفرد. "

2/- المدرسة: التنشئة الاجتماعية وإعادة الإنتاج الاجتماعي: يُحلل بيير بورديو وجان كلود باسيرون Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron دور المدرسة المُلتبس: "تُوسّع المدرسة نطاق التنشئة الاجتماعية الأسرية وتُعمّمها. فهي تُرسخ ثقافةً شرعية، ولكنها تُرسخ أيضاً ميولاً مُختلفة وفقاً للأصل الاجتماعي، مما يُساهم في إعادة إنتاج أوجه عدم المساواة. " إذن، بالنسبة لهما فإن المدرسة هي الفضاء الأساسي أو بامتياز لإعادة إنتاج عدم المساواة الاجتماعية التي تقع في إطار أشمل يسميه بورديو بإعادة الإنتاج الاجتماعي La Reproduction Sociale.

3/- جماعة الأقران Le groupe des pairs: يُبرز ويليام أ. كورسارو William A. Corsaro أهميتها: "يوفر الأقران (زملاء الدراسة، الأصدقاء) إطاراً أفقياً للتنشئة الاجتماعية يتعلم فيه الأطفال التعاون والتنافس والامتثال لمعايير الجماعة خارج سيطرة الكبار. "

4/- وسائل الإعلام والفضاءات الرقمية: تدرس دومينيك باسكييه Dominique Pasquier تأثيرها الثقافي لتُشير إلى أن: "وسائل الإعلام أصبحت، ولا سيما التلفزيون ثم الإنترنت، عوامل رئيسية في التنشئة الاجتماعية، حيث تنشر النماذج الثقافية والصور النمطية، وتُشكل مُخيلتنا. "

ولعل أن الفضاء الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي قد أصبحت أبرز وأقوى فضاءات التنشئة الاجتماعية في زمننا المعاصر. فالمؤثرون الرقميون مثلاً (يصنعون الرأي العام، يوجهون السلوكيات الاستهلاكية، يساهمون في الدعاية والتعريف بالكثير من القضايا، لهم قدرة رهيبية على حشد وتعبئة الرأي العام في وقت قصير جداً، ...)، هم أفراد يتمتعون بجمهور واسع ومتفاعل على منصات التواصل

الاجتماعي، ويتمتعون بقدرة على تشكيل آراء وسلوكيات متابعيهم. وبذلك، فهم بطريقة أو بأخرى أحد أبرز الفاعلين في عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها، بشكل خاص، الأفراد الشباب، على الفضاء الرقمي.

ففي العصر الرقمي، فإن مجتمع الشبكة، الذي هو مجتمع تكون فيه الهياكل الاجتماعية الأكثر أساسية وأنشطة المجتمع الأكثر أهمية منظمة حول شبكات المعلومات المعالجة إلكترونياً، يحل محل المجتمع بالمعنى السوسيولوجي التقليدي كفضاء رئيسي للتنشئة الاجتماعية.

5/- العالم المهني: يُحلل هوارد س. بيكر Howard S. Becker عملية التنشئة الاجتماعية التي تتم في الفضاءات المهنية من خلال دراسة حالة الأطباء. حيث يعتبر أن الشركات والهيئات الحكومية والمهن تقوم بتنشئة أعضائها على ثقافة تنظيمية وقواعد سلوك وأخلاقيات عمل محددة. "

د/- آليات التنشئة الاجتماعية: يمكن أن تُميز بين مختلف الآليات الآتية:

1/- التقليد والتماهي (المنهج التحليلي النفسي) L'imitation et l'identification : approche psychanalytique: سيغموند فرويد، ولاحقاً نانسي تشودور Sigmund Freud, Nancy Chodorow: "يتماهى s'identifie الأطفال مع آبائهم ويقبلون سلوكهم، وبالتالي يستبطنون المحظورات والقيم. وتحدث التنشئة الاجتماعية الجندرية من خلال التماهي المتباين مع الوالد من نفس الجنس. "

2/- التعلم المعزز (السلوكية الاجتماعية): ألبرت باندورا Albert Bandura ونظريته في التعلم الاجتماعي: "تكتسب السلوكيات من خلال الملاحظة وتقليد النماذج، وتُعزز بالمكافآت أو العقوبات الاجتماعية. "

3/- التفاعل الرمزي و"الأدوار الاجتماعية" L'interactionnisme symbolique et les « rôles sociaux »: يحلل إرفينغ غوفمان Erving Goffman التنشئة الاجتماعية باعتبارها تعلمًا للأدوار: "تعلّمنا التنشئة الاجتماعية أن "نؤدي" الأدوار الاجتماعية المناسبة لكل موقف، وأن ننقن "الصورة" التي نظهرها للآخرين. "

و/- القضايا والتحويلات المعاصرة: لا تزال مسألة التنشئة الاجتماعية والسياسية تثير عديد القضايا في مجتمعنا المعاصر، ولعل أبرز هذه القضايا هي:

1/- التنشئة الاجتماعية في المجتمعات التعددية والفردية individualisées: يُنظر أنثوني غيدنز Anthony Giddens للتأمل الذاتي الحديث la réflexivité moderne: "في المجتمعات الحديثة المتقدمة، يتعين على الأفراد بناء هويتهم بشكل قائم أكثر على التأمل الذاتي، من خلال خيارات سيرتهم الذاتية، ضمن سياق يتميز بتعددية النماذج. "

2/- التنشئة السياسية: يُعرف ديفيد إيستون وجاك دينيس David Easton et Jack Dennis هذه العملية المحورية: "العملية التي يكتسب من خلالها الأفراد، منذ الطفولة، توجهات سياسية راسخة (قيم، معتقدات، انتماءات حزبية). "

3/- التنشئة الاجتماعية في العصر الرقمي: تحلل دانا بويد Danah Boyd الممارسات الجديدة للمراهقين: "أصبحت الشبكات الاجتماعية مساحات بالغة الأهمية للتنشئة الاجتماعية للمراهقين، حيث يتفاوضون بشأن هويتهم وعلاقاتهم الحميمة وشعورهم بالانتماء."

4/- التنشئة الاجتماعية العكسية: سلطت مونيك دي سانت مارتين ومارجريت ميد Monique de Saint Martin et Margaret Mead الضوء على ظواهر يقوم فيها الشباب بتنشئة كبار السن اجتماعياً (خاصة في التقنيات الجديدة)، عاكسين بذلك عملية النقل التقليدية.

ي/- الأطر النظرية للتنشئة السياسية: عند استقراء الأدبيات الأكاديمية الخاصة بموضوع التنشئة السياسية، وخاصة الأمريكية منها، يمكن الإشارة إلى الأطر النظرية الآتية:

1/- النموذج التنموي (التربوي) (عقد 1950-1960): يركز هذا النموذج على الإجابة على السؤال: كيف يُطوّر المواطنون شعوراً بالواجب المدني والهوية الوطنية. ينظر إلى التنشئة كأمر حاسم لاستقرار النظام. والفكرة الأساسية هنا هي أن هذا النموذج قدّم مفهوم "الدعم المنتشر" (Diffuse Support)، وهو مخزون من المشاعر الإيجابية تجاه النظام السياسي يُبنى في مرحلة الطفولة المبكرة، غالباً من خلال الصور المثالية لشخصيات مثل الرئيس ("مرحلة الزعيم الخير").

2/- نظرية التعلّم الاجتماعي ونظرية الدور: في إطار هذه النظرية يتم التركيز على السؤال الآتي: كيف يتعلّم الأفراد الأدوار السياسية من خلال التقليد والتعزيز والتفاعل مع "الآخرين المهمين". الفكرة المحورية هنا هي أن التنشئة ليست امتصاصاً سلبياً بل هي عملية تفاعلية حيث يتعلّم الأفراد السلوكيات المناسبة للأدوار السياسية المتوقعة لهم (كناخب، أو ناشط، أو عضو حزب).

3/- النموذج المعرفي-التنموي (تأثير بياجيه): التركيز هنا يكون مسلطاً على الاهتمام بالتساؤل الآتي: كيف يتطور التفكير السياسي في مراحل مرتبطة بالنضج المعرفي. والفكرة المحورية الأساسية هنا هي أن الأطفال الصغار يفهمون السياسة بمصطلحات ملموسة وشخصية (مثل: ضابط الشرطة كمساعد). أما المفاهيم المجردة مثل "المصلحة العامة" أو "العدالة" فلا تظهر إلا في مرحلة المراهقة مع تطور التفكير العملي الشكلي.

4/- نماذج الاتصال (نهاية القرن العشرين وما بعده): يتم التركيز هنا على السؤال الآتي: كيف تُشكّل الرسائل الإعلامية والنخبوية والشبكات الشخصية الواقع السياسي. في ظل هذه النماذج الاتصالية يتم التركيز والاهتمام بالفكرة الآتية: في بيئة مُشبعة بالإعلام، لم تعد التنشئة عملية نقل لثقافة سياسية مستقرة، بل هي عملية مستمرة من التأطير (Framing)، حيث تُعلّم الوسائل الإعلامية والفاعلون السياسيون المواطنين "كيفية" التفكير في القضايا.

ه/- أهم فاعلو التنشئة السياسية (مرتبة حسب التأثير التقليدي):

1/- الأسرة: الفاعل الأول والأهم، فالأسرة تنقل الانتماء الحزبي والقيم الاجتماعية-السياسية ومستويات الفعالية السياسية. والنتيجة: يكون التوافق بين الوالدين والأطفال على الهوية الحزبية العامة مرتفع، لكنه أضعف في القضايا المحددة. عملية النقل تتعلق أكثر بالعاطفة (الارتباط الوجداني) منها بالأيديولوجيا.

2/- التعليم الرسمي: تُوفّر المدارس "تنشئة ظاهرة (Manifest)" (منهج التربية المدنية) و"تنشئة كامنة (Latent)" (المنهج الخفي: بُنى السلطة، الطقوس مثل تحية العلم...). تستند هذه الفكرة إلى فرضية مفادها: يجب على المدارس في النظام الديمقراطي أن تنشئ من أجل "التكاثر الاجتماعي الواعي (Conscious Social Reproduction)"، أي؛ تعليم الأطفال كيف يفكرون بشكل ديمقراطي، وليس ماذا يفكرون.

3/- مجموعات الأقران: تكتسب نفوذاً في مرحلة المراهقة وبداية البلوغ، وتتحدى غالباً آراء الأسرة. وعليه، فإن النتيجة هي أن الناس يتعرضون بشكل غير متكافئ للتوافق السياسي داخل شبكات أقرانهم ("التجانس الاجتماعي")، مما يعزز ويرسخ الاتجاهات السياسية.

4/- وسائل الإعلام الجماهيرية ("الوالد الجديد"): أصبحت فاعلاً مُسيطرًا، خاصة مع تفتت الخيارات الإعلامية. في هذا السياق يتم الاهتمام بالمفاهيم الأساسية الآتية: "وضع الأجندة (Agenda-setting)" (تعلّم وسائل الإعلام ما الذي نفكر فيه) و"التهييج (Priming)" (تعلّم وسائل الإعلام ما المعايير التي نستخدمها عند تقييم القادة).

5/- الأحداث السياسية والتأثيرات الجيلية: يعتبر مفهوم استبدال الأجيال (Generational Replacement) مفهوماً مركزياً. إن الفكرة الرئيسية هنا هي أن الأجيال التي تشكلت بفعل أحداث جوهريّة (الكساد الكبير، حرب فيتنام، هجمات 11 سبتمبر، الركود الكبير) تُطوّر نظرات وروى سياسية مميزة تستمر طوال دورة حياتها.

ل/- المناقشات والنقد: إن مفهوم التنشئة الاجتماعية، وبالرغم من خصوبته وتنوّع مقارباته، إلا أنه مثله مثل باقي المفاهيم الأساسية في العلوم الاجتماعية، لا يُفلت للمناقشة والنقد. يبرز ذلك من خلال:

1/- التحديد الاجتماعي المفرط مقابل الفاعلية الفردية: ينتقد برنارد لاهير Bernard Lahire الحتمية في بعض النظريات: "الأفراد ليسوا مجرد نتاج لتنشئتهم الاجتماعية؛ بل لديهم مجال للمناورة، ومواردهم الخاصة، ويمكنهم أن يَمروا بتنشئات اجتماعية متناقضة تجعلهم "hommes pluriels" كائنات متعددة".

2/- جدلية التنشئة الاجتماعية/التفرد Individuation: يُبين فرانسوا دي سينغلي François de Singly أنهما ليسا متعارضين: "التنشئة الاجتماعية لا تكبح التفرد؛ بل على العكس، يوفر المجتمع الحديث أطراً وموارد لبناء الذات كفرد فريد."

3/- التنشئة الاجتماعية مدى الحياة: يُقدّم كلود دوبار Claude Dubar نظرية "الأشكال الهوياتية": "لا تنتهي التنشئة الاجتماعية بدخول مرحلة البلوغ. فالتحولات المهنية والأسرية، والأزمات، تؤدي إلى تنشئات اجتماعية "متتالية" أو "مستمرة".

التنشئة الاجتماعية عملية ديناميكية ومستمرة:

تظهر التنشئة الاجتماعية كعملية أساسية في تكوين الأفراد الاجتماعيين. فهي ليست مجرد عملية تكيف أحادية الاتجاه، بل هي عملية ديناميكية، غالباً ما تكون متضاربة، وتتطور على مدار الحياة. في المجتمعات المعاصرة، التي تتسم بالفردية وتعدد النماذج وسرعة التغير، تصبح التنشئة الاجتماعية أكثر تأملاً وأقل يقيناً. ومع ذلك، فهي تبقى الآلية المركزية التي من خلالها تعيد المجتمعات إنتاج نفسها

وتغيرها، والتي من خلالها يكتسب الأفراد القيود والموارد اللازمة للتفاعل في العالم الاجتماعي. ونتيح لنا دراستها فهم التفاعل المعقد بين الحتميات الاجتماعية والحرية الفردية.

المراجع المعتمدة:

- Émile Durkheim, *Éducation et sociologie*, 1922.
- George Herbert Mead, *Mind, Self and Society*, University of Chicago Press, 1934.
- Pierre Bourdieu, *Le Sens pratique*, Les Éditions de Minuit, 1980.
- Peter Berger, Thomas Luckmann, *La Construction sociale de la réalité*, 1966, trad. française 1986.
- Talcott Parsons et Robert F. Bales, *Family, Socialization and Interaction Process*, Free Press, 1955.
- Pierre Bourdieu, *La Distinction*, Les Éditions de Minuit, 1979.
- Pierre Bourdieu, Jean-Claude Passeron, *La Reproduction*, Les Éditions de Minuit, 1970.
- William A. Corsaro, *The Sociology of Childhood*, Pine Forge Press, 1997.
- Dominique Pasquier, *La Culture des sentiments*, Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 1999.
- Albert Bandura, Richard H. Walters, *Social Learning Theory*. Englewood Cliffs, NJ : Prentice Hall, 1977, pp.20-22. https://www.asecib.ase.ro/mps/Bandura_SocialLearningTheory.pdf, consulté le 26/01/2026.
- Manuel Castells. *The Rise of the Network Society*. Blackwell Publishers, 1996.
- David Easton, Jack Dennis, Sylvia Easton, *Children in the Political System*, McGraw-Hill, 1969.
- Richard E. Dawson, Kenneth Prewitt. *Political Socialization*. Boston: Little, Brown and Company, 1969.
- Joseph Adelson, Robert P. O'Neil. « Growth of Political Ideas in Adolescence: The Sense of Community », *Journal of Personality and Social Psychology*, 4(3), 1966, pp. 295-306.
- M. Kent Jennings, Richard G. Niemi. *The Political Character of Adolescence: The Influence of Families and Schools*. Princeton, NJ : Princeton University Press, 1974.
- Amy G. Gutmann. *Democratic Education*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1987.
- Robert Huckfeldt, John Sprague. *Citizens, Politics, and Social Communication: Information and Influence in an Election Campaign*. New York : Cambridge University Press, 1995.
- Shanto Iyengar, Donald R. Kinder. *News That Matters: Television and American Opinion*. Chicago: University of Chicago Press, 1987.
- M. Kent Jennings, Laura Stoker. « Generational Change: The Tectonic Plates of American Politics. » In : *The Oxford Handbook of American Public Opinion and the Media*. Oxford: Oxford University Press, 2021.
- Bernard Lahire, *La Socialisation*, Nathan, 1998.